الدرس الحادي عشر: النظرية السلوكية(behavioral theory)

ظهرت المدرسة السلوكية سنة1912م في الولايات المتحدة الأمريكية، من أشهر مؤسسيها واطسن، تهتمّ هذه الأخيرة بدراسة السلوك البشري مخضعة إياه إلى مبادئ العلوم التجريبية؛ من قياس، وملاحظة، وغيرها. ثمّ انتقلت هذه الفكرة إلى حقل الدراسات اللغوية عموما وإلى علم الدلالة خصوصا مع اللغوي الأمريكي بلومفيلد.

لق ظهرت النظرية السلوكية ردّا على النظرية التصورية التي قدّست الفكرة-التصور-مغفلة الجانب المادي للغة. فجاءت هذه الأخيرة معيدة الاعتبار له متأثرة في ذلك بعلم النفس السلوكي المتأثر بدوره بالعلوم التجريبية (ينظر: علم الدلالة لأحمد عمر مختار).

لقد عرّف بلومفيلد معنى الصيغة اللغوية بأنّه: "الحالة التي يتفوّه المتكلم فيها هذه الصيغة والاستجابة التي تثيرها عند المتكلّم"(علم الدلالة لبالمر) ممثلا ذلك بمثال جاك وجيل والتفاحة؛ حيث مرّ جاك وجيل بالقرب من بستان، ولمّا رأت جيل التفاح شعرت بالجوع، وطلبت من جاك أن يحضر لها التفاحة، فبادر إلى قطفها.

لقد بيّن بلومفييد-انطلاقا من المثال الذي ذكره-أنّ معنى(أحضر لي التفاحة) الصادر عن جيل يتحدّد انطلاقا من المثير الذي جعلها تتلفظ بتلك الصيغة اللغوية، وردّ الفعل الذي أو استجابة جاك لتلك الصيغة. ممثلا ذلك كما يلي:

(م1←س1) ←(م2←س2) وهكذا، حيث: م1 هو المثير الأوّل(الجوع)، وس1 هو (طلب جيل التفاحة)، وم2 هو س1 الذي تحوّل إلى م2؛ بحيث طلب جيل للتفاحة صار مثيرا لجاك، هذا الأخير الذي قام بردّ فعل بأن جلب التفاحة وهو س2. وهكذا... بحيث قد تطول سلسلة المثيرات والاستجابات.

أسس النظرية:

-التشكيك في المصطلحات الذهنية المجرّدة مثل العقل، والتصوّر، ووالفكرة، والاعتماد على ما يمكن ملاحظته مباشرة؛ أي السلوك الظاهر وليس الحالات الداخلية، حتّى إنّ بعضهم أطلق على اللغة مصطلح السلوك النطقي (verbal behavior) أو السلوك اللغوي(language behavior) أي. معالجة الفكرة-المعنى-باعتباره سلوكا، بالمقابل نقد المفاهيم المجرّدة مثل: الإدراك، والإحساس، والشعور وغيرها.

-الإيمان ذبأنّ كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة.

-تقليص دور الغرائز، والقدرات الفطرية المختلفة والتأكيد على الدور الذي يلعبه التعلّم في اكتساب النماذج السلوكية.

نقد النظرية:

وجّه لهذه النظرية انتقادات أهمّها:

-ثمة كثير من الكلمات التي لا تدلّ على أشياء أو خصائص قابلة للملاحظة ناهيك عن التجربة والقياس.

-ردود الفعل للمثير الواحد تختلف من شخص لآخر بل عند الشخص ذاته من موقف لآخر، فكيف نعوّل على ذلك في تحديد المعنى؟